استجابة لرغبة عدد كبير من الأخوة القراء ، وبالأخص قراء المجلة العربية ، ومتابعي زاوية : تاريخ ، تاريخ ، خارج المملكة الذين لم يقطعوا خلال الحوار الذي دار حول : تاريخ ، على صفحات الجزيرة ، وذلك بعد أن قرأوا قصيدة د. غازي القصيبي : وربما سوف تسبّ بالتاريخ ، مقالة ريوح ثان ، ومقالة الأستاذ يوسف الشهراني التي نشرت في عدد جمادى الأولى ... لذا ولحقيقا لرغبة القراء ، ومن أجل أن يعرف هؤلاء القراء أسباب الغياب ، بادر تاريخ ، للنشر في هذا العدد مقالة الأديب (أبي عبد الرحمن بن عقيل) ، قرار الفصل ، التي فجرت هذا الحوار الأدبي ، الجزيرة (رئيس تحرير المجلة العربية) على سؤال أبي عبد الرحمن بن عقيل .

• المجلة العربية •

قـرار الفصـل

بقـلم /

أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

ـ عفا الله عنه ـ

منذ خمس سنوات وأنا أعاني أعباء القوانين المتعددة ، وإنها إن شاء الله لمن مكفرات الذنوب ، فما أحوجني إليها منذ علا ذكرة الميلاد تقارع الشيب .

وتحملت أعباء القوانين لكثرة همومي . فكثرة الهموم أقرّ من كثرة رغيفه !.

ولكثرة مشاغلي . وكثرة التشاغل أقرّ طويلب علم يريد أن يعرف كل شيء . ويريد أن يكتب عن كل ما عرف !!.

فعندما أعجز عن تحمل مسؤولياتي العلمية يحدث لي تأزم نفسي . وأعباء قوانين جسمية .

وكثيرا ما يتبع ذلك روائع أدبية تكتب بماء الدموع !.

فمرة تأزمت وأنا طالب بمعهد القضاء العالي فكتبت مقالة : ، ليت الفراق عفا ، !.

وأظنها نشرت بكتابي هكذا علمني وزاد زورك .

والتي الآن تغالطني نفسي بأنها من الشعر .

الشعر المنثور . وليس الشعر الموزون (بحر الكبش) !.

وتأزمت مرة من أخيمة الصحافة ورغبت أن يقال عني : الصيف أنضى من الصحصا !!.

فطلقت الصحافة . وكتبت الآن لله أن يلقاني !.

وتبارى فنانو الحرف يتجاوبون مع هذا الشعر المنثور كصدائي الدكتور القصيبي . وصدائي الأستاذ الرفاعي .

وليس هذا فحسب ، بل سمعت أخي الدكتور علي تتجمي يلقي كلمتي في أحد برامج السهرة الإذاعية بصوت متهدج ونفس مكلوم .

إلا أن قراءي الجزيريين ، أبت الفراق عفا ، وأن لم أن يعجم ، ثم يستقرا إلا بعد مغايرة وعناء .

وهذا كقرار الفصل الذي أرسلته إلى أخي الأستاذ أبي عبد الله حمد الظاهري بخط يده في ١٤٠٩/٢/١٧ هـ .

هو قرار يفصلني من المجلة العربية

وتجمد تاريخي !!.

□ ■ □

وإذا كانت ثورة الأستاذ في قرار الفصل باكية فإن تعليلاته كانت تفريد بعض الأسى :

لقد استعان بالله وتحولا على إصدار القرار ـ كما تجرأت في قراري ـ بمسوغات منها :

إن المجلة تعبت من متابعتي لكي ألتزم بقراري .

ومنها أن أستاذ الجيل حمد الجاسر عفى الله عنه أعفاني من الحلقات ، ولم يقل لي به أسوة حسنة .

فيا ابن القصاة ، ويا ابن أخيل أمة على الأعمال !

لو تريثت هجري لكان الأمر أسهل ، لأني حينئذ لا أعرف ليلك فأقول : لعل له عذراً وأنت تلوم !!.

أما أن تصدر بهجري قرارة ، فتلك أول مغامرة وجدانية أرتكبها يا أبا عبدالله ، ويحفل بها أدب العواطف .

وإياك إياك يا ابن القصاة أن تكافئ على دوريات الثقافة الأدبية فتقول : لم المطلب مطلول !!

فقد حطيت هذه الأيام بشعر يحلف بأن دم الحب لا يطل .. كتبته وسمعته بقرائم يلهب بالقلوب لناصر بن علي الشهالي يقول :

قبل الفراق وقبل الروح تتسلى
وأموت من سببك وارث لك طلايه
إني أخاف عليك يا أنا عبدالله أكثر من مخافتي ،

سيقول لك مثلاً قيلك حينما تقصد الفراق !

لو كان لي قلبان عشت بواحد
وتركت قلبا في هواك يعذب

سيقول لك مثلاً صدائي الرباك الدكتور الحويطر :

فدع هذا يا ابن القضاة .. أوانا نصير عن تاريخ تصور همومنا ، وتبلدي مائتنا أعباء الدولة عن مسهرجة قوانين !!.

« الخطاب الذي
اصبح قضية »

سيقول لك مثلاً شاد من الليل ـ وأنت تعلم كثرة الرسائل التي تصل إلى بواسطتك ـ :

وأنكروا صبا إذا غنى بكم
شرب الدمع وعاف القدحا

ألا ما أفسك أيها الهاجر ، وإنما ، يمنعني من جلك بقافية عصماء عاصية قول أبي تمام :

أما المعالي فهي أيسار إذا
نضنت ولكن الموالي عسون

ولهذا فربما هذه قصيدة من شعر القبيلة .

ثم يريك أيها القاضي هل سمعت تاليا لتاريخي يقول :

إلهي زيدت الأرض ثانية !! (*) .

وافقني يا أبا عبدالله عندما عيرتني شيخا بالعجز عن مواكبة شيخي ووالدي ومستودع البر بي حمد الجاسر !!

فهل تريد من يافع يتحت من صخر كمعتم يغرف من بحر !!.

إن شيخي حمد الجاسر رجل مُحسَد جاب أجزاء المعمورة شرقا وغربا ، ولقي الأحمر والأسود ، وشافه عادات الشعوب وثقافاتها ، ونقب في خزانات العالم .

وعايش تاريخ صقر الجزيرة العربية الملك عبدالعزيز رحمه الله . وترحل في البوادي إماما وقاضيا ومدرسا ومتاجرا ببضاعة تنسد الرمق ، وأنجاه الله من سرية عزيز الدويش التي لم ينج منها سوى إبراهيم بن عرفج رحمه الله على فرسه .

وعندي أحدية من أحد مشايخ البادية بناحيه .

وكان عقلا واعيا ، وعينا بصيرة لماحة ، وأذنا حافظة عندما كان العيقري من أدباء جيله من يقول نظما ، أو يشعر بالهجيني والسامر !!.

وعندما كنت ألعب بالكعاب ، وأمسح العرنين بالردن كان الشيخ في دور من يجتر من غاربه فيستذكر محفوظه .

فأبى ـ ثم أبى ـ أن يكون متحفي كبحره ، وغرفتي كغربه !! فهذه واحدة فاحفظها علي .

ثم إن الشيخ قليل الرعية إلا من محبيه ، وأنا كثير الرعية إلا من المعاون .

وقد أسلفت لكم أعباء من كثرت رعيته !!

وإذا عاتبتك فإنني أعتبك بأن التزامي العلمي وهموم الرعية ، والتكسد الظولوني :

كل ذلك أقعدني عن دروسي بالمسجد والبيت وأجلت ذلك إلى عام قابل .

وأقعدني كل ذلك عن تدريسي بمعهد الإدارة العامة .

وأقعدني كل ذلك عن تدريسي بجامعة الملك سعود .

وأقعدني كل ذلك عن برنامجي الإذاعي تفسير التفاسير فأجلت ذلك إلى عام قابل .

وهممت بأن القاعد من عملي الرسمي بوزارة الشؤون البلدية والقروية فأفيت كريم العطف والبر من رجل العلم والعمل والصمت معالي الوزير الأستاذ إبراهيم العقيري .

وتفرغت لأعمال تأليفية كلفت بها من فضلاء أجلاء فمنحتها ما بقي من صحتي وراحتي . وأعطيتها حقها بإذن الله ، وإنها على وشك الظهور دفعة واحدة .

وغالبت نفسي على الوفاء لجريدة الجزيرة بيومية ، وللمجلة العربية بتبريحة .

وإنما تأخرت التبريحة هذا الأسبوع فأقامت الدنيا وأقعدتها يا أبا عبدالله ولم تدر أنني مشغول مع ابني أبي الوفاء علي بن محمد بن عقيل وقد أجريت له عملية في العضلة على إثر عملية في الرأس من حمى شوكية .

ولم تدر أن ابني أبا محمد عبدالوهاب ابن محمد رُوِّع بصدمة طفل طائش حطم أربع سيارات ، وسلم الابن من جروحه وبقيت الروعة في ركبي وجوانحي .

ويشهد على ذلك الأستاذ محمد العوين وأفقته ابن بطوطة .

وعلى أي حال فأنني آذن لك يا أبا عبدالله بما اقترحته من إيقاف التباريخ والاعتذار للقراء .. ولكن لعام واحد فقط لأنني غير قادر على الالتزام خلال هذا العام .

وما بعد العام فالزاوية ملكي فقد أحييتها إحياء شرعيا وعرف القاصي والداني حدودها وأبعادها ، والله المستعان .

رفقا بنا يا صاحب «التباريح»

بقلم/ أبي عبد الله حمد القاضي

قال : أبو عبد الله حمد القاضي ـ عفا الله عنه ـ : إن حالات الندم في حياته قليلة جداً .. فهو يسعى جهده ألا يقول أو يعمل شيئاً يندم عليه .. ومع هذا لن يركب حصان الغرور أو الثقة فهناك حالات ندم عليها في حياته .. ولعل أقربها تلك « الوريقة البيضاء » .. التي تهادت إلى أستاذي الأديب المؤرخ الفقيه « أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري » والتي أطلق عليها « خطاب الفصل » ومن أبو عبد الله القاضي حتى يصدر قراراً بفصلك أو بالأحرى حجبك عن قرائك في زاويتك « تباريح » بعجلتك العربية .. !؟

فرفقاً يا صاحب التباريح ـ فصاحبك لايزال ذا قلب رقيق تأسره النسمة ، وتسحره الهمسة ، فكيف له بالقسوة ، وهو من ، قوم ، قال شاعرهم :

قدت الجحافل والبوارج قادرا
مالي ضعفتُ فقادني جفناك

وهو لا يزال على ذلك العهد الذي عهدته عليه يوم قلت في ، النغم الذي أحببته ، والذي أطعمته لتثار الخبرا :

نحن قلبان تيمتنا عهود
كيف ننسى ما وثقته الجفون

وقد من الله عليك ـ يا شيخي بالهداية ـ فأصبح قلبك ـ وأشهد الله على ذلك ـ لا يأسره ، رغيف حاجب ، ولا يأخذ بمجامعه غزال شارد ، لقد أضحى فؤادك يجهش ويذوب فقط وأنت ساجد بين يدي الله ، فهنيئاً لك هذه الأوبة

قال أبو عبدالله القاضي حفظ الله لسانه ، وسدد سهامه : ما عهدتني إلا عصي الدمع ليس لأن شيمتي الصبر لكن لأن الدمع الذي يذرف في الصبا يحول عن الدمع المنسكب على الخد ، وهنا ـ يا أبا عبدالرحمن ـ وجدت نفسي في حشر الحالات التي رأيت فيها دمعة تفر من عيني إلى وجنتي بعد قراءة مقالتك الشهية « القرار الأخير » التي تنشرتها في صفحة اليوميات في هذه الجريدة الأحد الموافق ١٤٠٩/٩/٢٨ هـ .. وأشهد الله قبل أن أشهد القارئ أنها أصابت مني مقتلاً ، وأطفأني ألماً وندماً .. ولو استفتيتك عن أقرأني ما استشرت ما كتبت محطمات تلك « الوريقة » ولا بعثت إليك تلك « الكليمة » .. ولكن العذر لا يغني من القدر .. وقد كنت استشرف أنك ـ بعد قراءتها ـ ألصقت لقلمك عذراً ـ على نحو ما سوف يأتي بيانه ، وبحبره سيانه .. ولكن « قلبك الظاهري الرقيق ـ وما أرى قلوب الظاهريين ـ لم يستطع احتمال تلك الصدمة ، وإن كان جاء من المبدع في كلمات عميقة كالصدمة ، ويظهر أنك ـ يا أبا عبدالرحمن ـ فهمتها على أنها من « ظلم ذوي القربى » فكانت على قلبك « كالحسام المهند » .. ولعل ما حصل لي معك أعدى « بلايا » مهنة الوراقة .. وما أكثرها « بلاويها » وحسبنا نحن الوراقين ـ وأنت راشدهم ـ أن مهنتهم لا تورق في قلوبهم إلا نعياً ..!

قال أبو عبدالله القاضي : أما عصيك علي قلم احتملها .. وأنى لي باحتمالها وأنا الذي استشرف رضاك فكيف أقدر على عصيك؟ وإذا كنت وعدت علي ذات يوم على سلكاني في سلك الظاهريين ـ وكان هذا يعني قمة رضائك عني ـ فكنت مع الظاهريين الذين رضيت عنهم كالقصيبي عازي ، والعامد عبدالله والصالح أحمد ، والظاهريات كالسقاف خيرية ، والخزرجي عائشة .. واليوم أراك سللت سيف الغضب ، وأذبت ناب العتب .. وعسى ألا تكون حالي معك ، معنا قليل حظ ، .. فتكون الحسنات ذنوباً ، والعزايا رزايا ..!

أما بعد ..

فلو الذي نفس أبي عبدالله القاضي بيده ما كتبت لك تلك الخطاب إلا ليكون فصل الخطاب ، لتعود إلى قرائك عاجلاً .. كذلك الذي كان عنده علم من الكتاب فأتى بعرش بلقيس إلى سليمان قبل أن يرتد إليه طارف الأبصار .

قال أبو عبدالله القاضي الوراقي ، نسبة إلى مهنة الوراقة ، لقد أسميت تلك الوريقة بـ « خطاب الفصل » وكيف لا ، أبي عبدالله ، يشؤون الفصل ، وهو الذي لا يعرف إلا ضمير الفصل .. وإن رأيت أن تستفتني في شأن تلك « الوريقة » : هل هي قرار فصل ، أم خطاب وصل ، فلتستأنس فيه تعظم القدمة وتوانحه معاني الأستاذ تركي خالد السديري ، ولئن يضن علينا بالجواب ، ويبادر على الخطاب .

وحدث : أبو عبدالله القاضي ، طالما الصفح ، وناشدا العفو قائلاً : إن كان في « الوريقة » إياها كليمة غير موزونة فأولى بأبي عبدالرحمن الصفح ، وهو من الكرام الذين ، إذا قرأوا سئروا القبيح وأظهروا الحسنا » .. ، وإن أعقل الناس أعذرهم للناس ، ـ كما تقول العرب ـ وأنت من أنت عالماً سمحاً وظاهرياً بمتا .

أما إذا أصررت على الغياب طوال العام ، فإن الشوق إليك سيكون كالضرام ، وسوف يلجأ قرائك إلى أن يأطروك على الكتابة أطراً ، ويعيدوك إلى « التباريح » أوراً ، وإن امتنعت فسوف نتجأ إلى صاحبك ومشرفنا « أبي محمد عبدالعزيز الخويطر » ولا يعرف الفضل إلا أهل الفضل .. وهو الذي سيكون رأيه أمرا ، ولا أشك أنك لن تستطيع لطلبه ردا .

قال أبو عبدالله القاضي حفظ الله لسانه ، وظهر إردانه : عندما حدثنا أبو عبدالرحمن عاتباً ، وتارمح عارضا ، وجب علينا أن نبين له السبب فقول أن أبا عبدالله الوراق ما بعث بتلك « الوريقة » التي أدخلها أبو عبدالرحمن

التاريخ إلا بعد أن تعب هو ، وتصبب زملاؤه في المجلة العربية، من كثرة الملاحقة التي كانت أن تصل إلى المطارنة ، فمن هاتف بتأجيل إلى هاتف بالإلغاء ، ومن دار إلى دار ، فعندما تتصل في دارتك دارة داود الطاهري ـ كما أسميتها في حي سلطانة المحروس ، بجيبنا الرد أنك قد ذهبت إلى دارتك ، دارة ابن حزم الظاهري ، بحي المنتزه المعمور ، وكلما عندما تتصل بك بالشتاء أن تقول هذا أوان القر والصر وإن اتصلنا بك بالصيف قلت هذه حمارة القيظ ، وعندما نتحفف بالسؤال يجيبنا الجواب أن الشيخ ـ وفقه الله ـ بالمسجد يصلي ويسبح ، وأونة في دار الإذاعة يسجل التفسير ، بأسلوبه المميز البصير .. وكم مرة أخرنا طباعة العديد العلازم لعمل ، التواريخ ، تتركها .. وكم لقينا من عناء التأخير .. ولوم المطبعة على كثرة التسويف وكلنا في بعض الأعداد ـ من شدة حرصنا على تواريخك وخشية افتقاد القارئ لها ـ كدنا أن نملأ ، صفحتك البيضاء ، بصورة لك محاذاة لمعتمة مكان الزاوية حتى لا نخرج ـ للقراء ـ خالية .

أرأيت ـ الآن ـ حرصنا على هذه التواريخ رغم إعنائها لنا ، ولكننا مع هذا نعتبر تعبها راحة فعلك من يتعب من أجله ، وحسبنا بتقدير الفاضل .. أبي مازن المنتفري .. لك ، الذي ثمن علمك وأعمالك وشاقه تواريخك وتعاريفك ..

□ ■ □

قال أبو عبدالله : ومع كل ذلك لو علمنا عن تلك الأسباب الحوالمة التي شرحتها في مقالتك الشجية لما كلفنا لك سطراً ، ولما بعثنا لك طرساً ، ولمسنا لك عذراً ، فلقد العنا ما شرحته من آلام ، القولون ، ومن إجراء عملية لابنك أبي الوفاء علي ، ومن الحادث الذي جرى لابنك أبي محمد عبدالوهاب ، ثم قبل ذلك وبعده ، كثرة الرعية ، والتي أصبح لكل واحد منهم قضية .. ولا نملك هنا إلا أن نحمد الله معك على سلامة الأبناء ، ونسأل الله أن يخفف عنك من الام هذا ، القولون ، السوداء ، لتعود إلى ، مجلتك ، مجلتنا ، وإلى حلقات مسجدك معلماً ، وإلى جامعتك محاضراً ، وإلى مستمعيك محدثاً .. ثم إلى مجالس محبيك تسعدهم بغزير علمك ، وتطرّي جلساتهم بطرائفك ، كمثل تلك الطرفة التي ترويها عن أحد أبنائه ، شفرائك ، في القديم ، عندما كنت تصلي صلاة القيام وكان يصلي بجانبك رجل أعمى سليم البنية .. وكنت كلما سجدت سمعته يدعو مردداً هذا الدعاء ، رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني ، فلم تستطع عليه صبراً .. وحال تسليم الإمام أمسكت به ناصحاً وقائلاً له يأستوبك التطيف كيف تدعو بهذا الدعاء ، هل أنت زوجة عمران ؟ ... ، وأرشدته إلى الدعوات المناسبة له كرجل لا امرأة .

أترك نسيت هذه الحكايا ، أم أنسيتها بسبب الام ، القولون ، وهمومه .. أرجو ألا يكون ذلك كذلك .

قال أبو عبدالله عفا الله عنه : إن قرائك ـ يا أبا عبدالرحمن ـ يعرفون أنك فقيه ومؤرخ وكاتب ومفسر وشاعر فصيح ـ لكن أقلهم لا يعرف أنك شاعر تنظم نظم فصائده عالي الجمال ، وترفض ربات الخجال .. وحدثهم بأبيات من تلك القصيدة التي ، سلبتها ، عالي صديقك رائد الحمدان عندما أردت السفر إلى عاصمة أبي صير ، في مصر المحروسة في غابر السنين والتي حاصت فيها أبيات فيها لوعة ابن لعبون ، وهيام محسن ، والتي قلت فيها :

ما طربت الغي في عز الشباب
مير ادعج العينين ضيّع لي غدايه
زامي الردفين مفلوج العذاب
وان ضحك لي بالمودة واهنايه
وان طول الصدة وليقي واخذابي
وان عجّل الزدة فهو غاية منايه

إلى آخر هذه القصيدة التي تقطر رقة وتذوب شفافية ..

وآه منكم أيها الظاهريون ـ كم هي قلوبكم رقيقة ، وأشعاركم تلهب مدية ، ولكنكم ـ مع هذا ـ وعلى طريقة شيخكم ابن حزم ـ فيكم عند الصدع بالحق قوة ، وعند رؤية الباطل جولة وصولة .. وكان شاعرنا العربي يعنيكم ويعنينا معكم عندما قال في بيت جمع فيه ما بين رقة العاشق وقوة الفارس :

نحن قوم تأبينا الأعنة النزول
غير انا نسليب الحديدا

والله ما كذب ـ والذي نفس هذا الكويتب بيده ـ ورغم كل ذلك أيها الظاهري فإن رقة القلب هذه قد تحولت لديك من خيالات في الشعر والهيام إلى رقة تسكن جوانحك وأنت تصلي في جنح الليل والناس نيام ، بعد أن أصبح قلبك معلقاً بمشروع المساجد بعد أن كان مولعاً برقيق القصائد .

□ ■ □

قال : أبو عبدالله القاضي : ولو لم يكن من أمر تلك ، الوريقة ، التي أغضبتك إلا أن فظرنا بمقالتك الشائقة ، قرار الفصل .. التي هي أقرب إلى الشعر منها إلى النثر .. والتي كتبتها بأسلوب هو أدنى إلى مقبل الحمام بعد أن أمسكت بطوقه ونثرت قلمك بتغريده .. وثانية عوائد هذه ، الوريقة ، أنها حققت الهدف .. فقد وعدت قراءك بالعودة إليهم في عام قابل .. وإن كنا وهم لا نستطيع على الصبر عن تباريحك كل هذا الزمان .. ولكن إن أضررت فما لنا إلا الصبر .. حتى ولو تجرعنا الصبر .. وستبقى ، الزاوية ، ملكك كما قلت في مقالتك ، فقد أحييتها احياء شرعياً وعرف القاصي والداني حدودها .. ونحن معك في هذا .. لكن عسى ألا تتدخل ، وزارة الزراعة ، في الأمر .. حيث أنها عندما تمنح إنساناً أرضاً زراعية ثم لا يحييها صاحبها .. أو يحييها ثم يهجرها ، فإنها ـ كما تسمع ـ تأخذها منه وتمنحها لغيره .. لكن اطمئن فنحن ، بالمجلة العربية ، إن نفطها فمن لنا نحن غير أبي عبدالرحمن .. ومن لنا بتباريح غير تباريحه .. يرّح الله عنا وعنه كل مكروه وأخيراً نقول ـ كما يقول الأب عن ابنته عندما يخطبها كفء : ، ما خذناها إلا لك ، .

وبعد ..

تراك بعد هذه ، المقالة الاعتذارية التابعية ، قد رضيت .

ذلك ما كنا نبغي .. فقد أردنا بهذه المقالة ذات الأسلوب الظاهري أن نمثل سليمة غضبتك ، ونظفر بصادق عفوك ، ونحظى بعاجل أوبتك .

ولك العتبى ـ يا أبا عبدالرحمن ـ حتى ترضى .

يكتبه لكم

أبو عبدالله حمد القاضي

ـ عفا الله عنه ـ